Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

مجلة ديالى للبحوث الانسانية
العدد (100) المجلد (1) حزيران 2024

الفكر الفلسفي في التاريخ عند المسلمين – المسعودي أنموذجاً

Philosophical Thought in History among Muslims - Al-Masudi as a Model

م.د أمينة عبد الكريم عبد الستار كاظم
جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract

Al-Masudi is a Muslim historian born in Baghdad during the Abbasid era, when the city of Baghdad was one of the greatest centers of knowledge in the world. He traveled from place to place in search of knowledge until he finally settled in Fustat.

He was distinguished by a remarkable methodology that relied on observation and questioning, and his approach was characterized by scientific precision. His travels greatly influenced him, and he remained distant from political currents, becoming free in his historical criticism to the extent that he criticized the contemporary Abbasid caliphs.

He addressed many philosophical issues and was distinguished by a historical mindset and a great historical sense. One of the most prominent scientific aspects of his methodology is the law he adopted in critiquing news. He accepts two types of news in history: the first is what is mentioned about things whose existence has been established through tangible evidence, and the second is news that has reached the level of unquestionable certainty

Email:
amina.hsv.hum@uodiyala.edu.iq

Published: 1-6-2024

Keywords: فكر فلسفي، المسعودي ، تاريخ

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

يُعد المسعودي(346هـ)المولود في حاضرة الدولة العباسية(بغداد) من طليعة فلاسفة العرب، عاش في وقت امتلكت فيه بغداد ناصية العلم بمراكزها العلمية الشاخصة، في مجالات المعرفة المختلفة، وقد قاده تطلعه للمزيد من المعرفة، والتفقّه في مجاله الى الانتقال بين البلدان، ثم استقر مطافه في الفسطاط. اختط المسعودي لنفسه منهجا قوامه توخّي الدقة العلمية، معتمداً أسلوب المعاينة والسؤال، ليرسخ بها قناعاته ونظره الفلسفي، ولم يكن للسياسة أثر في توجهاته، بل تحرر من التيارات السياسية، مما سمح له الاقدام على انتقاد ولاة الأمر من خلفاء بني العباس المعاصرين له. كذلك أمتاز المسعودي بعقلية تاريخية منظمة وحسٍّ نقديٍّ متمكن، وقد عرض للكثير من الموضوعات الفلسفية، في كتابيه التنبه و الأشراف و مروج الذهب و معادن الجوهر وتفرّد بمنهجه العلمي في نقد الأخبار التاريخية، إذ وضع قاعدة التزم بها في هذا المضمار، شكّلت قانونه الخاص، وبموجبه أقتصر على ارتضاء صنفين من تلك الأخبار، الأول منهما: ما تحدّث عن أُمور مثبتة الوجود حسّاً، والصنف الثاني: هي الأخبار المتواترة تواتراً قاطعاً للعذر.

المقدمة

من المتعذر إيجاد البدايات الأولى للفكر الفلسفي، إذ لم يكن هناك تدوين في عصور ما قبل التاريخ، وقد يكون سبب ذلك فقدان المدونات الفلسفية، أو قلة ما كُتب فيها، وربما كان بسبب عجز التعبير عن الفكر الفلسفي الأرسطوي بنمطها المخصوص، وضبابية النسج التي تعيق جلاء الفكرة، إلا أنها تبقى في جوهرها مادة فلسفية دسمة.

لقد حازت فلسفة التاريخ اهميتها بين ما سواها من العلوم التاريخية والاجتماعية معاً، من تزايد ادراك خطورتها وما تؤديه من مهمة اساسية بكونها دالّة تقود إلى وضع الأصول المعرفية .

أن تتبع أول ثمار الفكر الفلسفي عند المسلمين يقودنا إلى المسعودي بفكره الموسوعي وإدراكه العميق، الذي درس قضايا فلسفية متنوعة، ذكرتها في هذا البحث، ومنها نستقرئ آلية التفكير الفلسفي عند المسعودي وخصوصيته التي اكتسب فيها قصب السبق على الكثير من أصحاب الفكر الفلسفي كابن خلدون وتوينبي وغيرهم.

وفي هذا البحث اتبعت المنهج الوصفي، وقسمت البحث إلى جزأين، درست في الأول منه سيرته و حياته، و في الجزء الثاني عرضت معالجته للقضايا الفلسفية .

أولاً: سيرته و حياته .

1-اسمه و لقبه:

علي بن الحسين بن علي بن عبد الله بن مسعود، ومنه اكتسب لقب المسعودي، ويدعى بأبي الحسن[1].

2-نسبه :

يصل المسعودي بنسبه إلى عبد الله بن مسعود[2]، وهو الجد الأكبر له، الذي كان ذا منزلة رفيعة في افئدة ساكني العراق، وحينما وصل أبن مسعود إلى أرض العراق في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، اجتمع الناس حوله يحكي لهم عن النبي الاكرم ﷺ ويبلغهم سنته الطاهرة، وهو فرد بين كثير من اصحاب النبيﷺ الذين انطلقوا إلى ما فُتح من البلدان في ذلك العصر، وقد استوطنت عائلة ابن مسعود بأرض العراق وتوجهت عنايتها الى مجالات الآداب والعلوم، ولم تسهم في المشاحنات السياسية التي حدثت في العراق في اثناء الخلافتين الأموية و العباسية[3].

3-مولده و نشأته :

ابصر المسعودي النور في عام 287هـ/ 900م في عصر نفوذ الاتراك[4]، وترعرع في بغداد، التي أستقر فيها لمدة وجيزة، وأرتحل بعدها إلى مصر[5]، واستقى في صباه طائفة من العلوم، والمعارف العقائدية، والأدبية، تحت إشراف مجموعة من فقهاء العلم المعروفين في بغداد والبصرة بوجه خاص، بعدها أنتقل من العراق، الى اقطار كثيرة اجتمع في اثناء ترحاله مع الكثير من أصحاب العلم، نقل علمهم، ودخل معهم في مناقشات، واخذ عنهم مؤلفاته[6].

ومن اللافت أنّ الكثير ممن ترجموا له، ذكروا في مصادرهم أنّ ولادته كانت في بغداد، ولم يشيروا الى موطن ولادته الاصلي، وبالعودة إلى أحد مؤلفاته نجده يصرح بمكان ولادته في (اقليم بابل)، قائلًا:" **واوسط الأقاليم، الإقليم الذي ولدنا به، وأن كانت الأيام أنأت بيننا وبينه وساحقت مسافاتنا عنه، ... إذ كان وطننا ومسقطنا، وهو اقليم بابل**"[7].

4-مهيئات ثقافته وسعيه في طلب العلم :

في العصر العباسي نلمس اقبالًا عامًا على نهل العلوم والسعي لإجادتها، وقد أبدت عائلة المسعودي حرصها على أن يكتسب التحصيل العلمي اللائق، مع تهذيبه وإنضاج شخصيته في إطار عربي اسلامي وتثقيفه وتنشئته نشأة عربية إسلامية، فقد مثّلت حاضرة العباسيين-آنذاك- أضخم مقرات العلم وأرقاها في العالم، وطار ذكر مكتباتها الكبيرة في الأفاق، بما استوعبته من الجهد العلمي والانساني العربي والاسلامي، كذلك كانت بغداد ملتقى لكثير من فطاحل العلم والأدب والفقه، كل تلك الظروف المواتية تركت الباب مفتوحًا امام اقتناء المسعودي كمًا غزيرًا من التفقه والتثقيف[8]، وأن يدرك تمام الإدراك جميع ما في عصره من النتاج الادبي والعلمي، على تنوع مجالاته وثرائها[9].

وعقب حصول كفايته من تلقي التعليم والدراسة في موطنه الأم بغداد، رغب المسعودي في الاستزادة من مواطن العلم ومناهل المعرفة على تنوعها خارج بلاده، لتتسع ثقافته، ويضاعف المامه، فكان لا مناصّ من سفره إلى بلدان متنوعة، فوضع رحاله في أقطار وبلاد كثيرة، يأخذ منها ما يُعمق معرفته ويُوسع

مداركه، موثقاً ما جرى أمامه من مواقف وأخبار، واصفاً الطرق والبلدان التي مر فيها وضمّنها في كتبه، وحينما وصل إلى مصر، واختار الثبات في الفسطاط عام 345هـ/ 956م[10].

5-شيوخه :

تتلمذ المسعودي على يد عدد غير قليل من المشايخ، بغض النظر عن ديانتهم من المسلمين وسواهم، منهم العلامة الاخباري المحدث الفضل بن حباب الجمحي(ت305هـ)[11]، وأحد اشهر أئمة النحو نفطويه(ت323هـ)[12]، وهو أمر مثبت في سير اعلام النبلاء[13]، وفي الجزء الثالث من طبقات الشافعية[14]، وقد أستقى من الجمحي أحداث موقعة الجمل، وأنباء خلافة بني أمية وبني العباس، كذلك وما كان من سير اصحاب النظم العذريين والمتيمين[15]، ومن شيوخه أيضاً الإخباري قاضي دمشق ابن زبر الربعي(ت329هـ)[16]، في تلك الحقبة بلغت شخصية المسعودي غايتها في النضج العلمي، أذ أنتفعَ من مصاحبة شيوخه في توثيق انباء أُممهم وما كان فيها من وقائع، وتدوين مناقبهم وولاة أمرهم وفضائلهم ومعتقداتهم وطوائفهم[17].

6-منهجه في التأليف :

تفرّد المسعودي على غيره بكونه عالماً موسوعياً، فهو الذي استهل دمج التاريخ مع الجغرافيا، بنهج باهر[18]، مستندًا على المشاهدة والاستفهام، فما إن يلقى رجلاً حتى يستفهم منه عن بلاده، وزمنه واوضاع قومه وأنواعهم وأصولهم وما جبلوا عليه في أيامهم ومناسباتهم، وحدود موطنه؛ كل ذلك أفضى إلى وفرة جعبته العلمية حتى عرف بها[19]، وقد غلب على اسلوب تقصيه، الإحكام العلمي في مجال التاريخ القديم- على وجه الخصوص-، كتأريخ الاقوام العربية، وأخبار العجم، وبلاد الروم واليونان، كذلك كان حاذقاً في إلمامه بالجغرافيا؛ وكل ذلك متحصَّلٌ من نهجه القائم على معايشة الأحداث والاستفسار عنها[20]، وانطلاقًا من القاعدة الاستفهامية وطريقة التحقق التي انتهجها، جاءت معارضته لزعم الجاحظ (255هـ) أن مياه نهر السند، أو مهران من النيل، وبرهانه على ذلك استيطان التماسيح فيه، وهو اثبات على توخيه الدقة في الأخبار، الناتجة عن اعتمادهُ للمعاينة، وترك الركون إلى المعلومات المنقولة سماعًا[21]، الأمر الاخر الذي يُحسب لمنهج المسعودي، هو نأيه عن الحركات والتوجهات السياسية، بفعل اسفاره وتنقلاته الغفيرة ابتغاء العلم، يظهر ذلك جليّا في مؤلفاته على تنوعها، مما أتاح له فضاءً رحباً يوجه النقد فيه وقتما يستدعي ذلك التزامه بمنهجه التاريخي؛ وإن كان التقريع متوجه إلى ولاة الأمر من الخلفاء العباسيين الموجودين في عصره، فقد نعتهم بالهزال والركاكة، وأن الروم قد فرضوا سطوتهم على مُلكِهم[22].

ويمكن احتساب المسعودي ضمن مؤيدي المنهج اللاسندي، وتعني اقصاء السند في الرواية، واعتماد القرائن، مع تيقنه من تضمن الحقب التاريخية المختلفة لعبر ثمينة، يجب تبينها والإفادة منها[23]، وكان اليعقوبي متقدم على المسعودي في اعتماد المنهج اللاسندي؛ إلا أن المسعودي فاقه بالمزاوجة بين

الدراسات التاريخية والجغرافية، واتباع المنهج الموضوعي[24]؛ يتلخص ذلك بتوثيق ما يدونه من امهات الكتب التي عاد إليها، ولابد من الإشارة إلى أن استبعاده للسند غير قطعي، إذ نلحظ بين الفينة والأخرى انه يذكر السند؛ كدليل على حدث، أو نقلًا عن معلميه[25].

7-آثاره:

انتج المسعودي مؤلفات وفيرة، ككتاب أخبار الزمان، والأوسط، ومروج الذهب، وذخائر العلوم، والتنبيه و الأشراف، وخزائن الملك وسرّ العالمين وغيرها[26].

8-رحيله الأخير:

بقي المسعودي في مصر حتى وافاه الأجل في عام 346هـ/957م[27].

ثانياً: معالجته للقضايا الفلسفية:

1-نشأة العالم والحياة البدائية والتوزيع بين المدن والبوادي:

ناقش المسعودي مسألة نشأة العالم بنظر فلسفي مكثف، وطرح رأيه القائل بأن العالم مخلوق محدث غير قائم بذاته من الأزل، جاء فيه:" **إن الفحص يوجب أن الأشياء لاتعدوا إحدى المنزلتين: إما أن يكون بدء وانتهاء، وإما أن يكون بلا بدء، و لا انتهاء. فإذا كان بلا بدأ ولا انتهاء فواجب أن تكون أجزائها وأبعاضها غير متناهية، وأن يكون الزمان غير عادّ لها، و لا حاصر لجميعها. غير أنا نجد التناهي والابتداء في أجزائها وأبعاضها على الدوام، ففي كل يوم جديد نعاين خلقاً جديداً وصوراً في العالم لم تكن، هذا ما يدل على حصر الأشياء و وقوعها في غاية انتهاء صورها، وواجب أن للأشياء بدءاً وانتهاء، وبطل وهم المتوهم أن الأشياء بلا نهاية وأن ليس لها ابتداء ولا غاية. ولو وجب أن تكون الأشياء الموجودة بلا بدء ولا نهاية، لوجب أن لا يزول شيء من مركزه، ولا يتحول عن مرتبته، ولبطلت الاستحالة، وسقطت المضادة، وهذا مستحيل**"[28].

فهو يستدل على خلق الأجرام ونشأة الأجسام، وهو برهان مستمد من الادراك، واعمال الألباب والتقصي[29]، لكن ما المراد بنظريته عن استحداث العالم؟ الهدف منها الإقرار بأن العالم كائن ومخلوق عقب العدم[30]، قال الجرجاني[31]:" **الحادث ما يكون مسبوقاً بمادة، ومدة، وقيل: ما كان لوجوده ابتداء**"

وقد عرض الغزالي[32] رأي حكماء الملاحدة ومفاده أزلية وجود العالم، فناقشه وقوّضه، بأدلة عقلية وضعها في حقائق ثلاث، وهي:

1-أن يكون الله موجوداً، ولا يوجد عالم.

2-ثم يخلق العالم، على نظام المشاهد.

3-ثم يتبعه بنظامٍ ثانٍ، وهو الموجود في الجنة.

المحصلة بعد كل ذلك نشأة العالم، وجواز إيجاد الحادث من القديم. والمسعودي يقر بحدوث العالم، و ومستهل العالم: من عند آدم (عليه السلام)[33]، يَقصد أنَّ التاريخ البشري بدأ مع آدم (عليه السلام).

إنَّ انتماء المسعودي إلى المعتزلة[34] يفسِّر اتخاذه مذهب المعتزلة في قضية نشأة العالم، فقد انبثق هذا الرأي بعد القرن الإسلامي الأول، وصدر عن الجعد بن درهم و الجهم بن صفوان، بعدها وصل إلى جماعة عمرو بن عبيد، كأبي الهذيل العلاف وغيره[35].

وقد وصف بمقال موجز صورة الحياة الأولى، اعقبها تكشُّف جوانب من سمات التمدن؛ إلا أنها لم تعمَّ جميع الأقوام، وذكر أنَّ جماعة من الناس نَسَبَت ظهور التصنيف والتمايز، إلى واقعة الطوفان في ومن نوح عليه السلام، وأن الأمم ناءت عن بعضها، واختلف مسارها بين تشييد البنيان، أو العيش في الصحارى[36]

2-توزيع الجماعات البشرية:

صنّف الحشود الانسانية إلى سبعة شعوب باقية، تستحق استكشافها وتفحصها، والتدقيق في الأزمان والأحداث التي مرت عليها، وما جبل عليه أهلها وميولهم، إذ يتسم كل واحد منهم عما سواه بخصال سائدة كامتلاك لغة واحدة، وحاكم أوحد، ويتباين احدهما عن الاخر في خصاله الفطرية، وطباعه التي ورثها عن سابقيه، وفي منطقه وكلامه[37].

وزاد المسعودي أصلاً إضافياً، لقياس المفاضلة بين الشعوب، وهو المعتقد، فيكون الإيمان والاعتقاد قاعدة لتقوية الملك، وبسط الحكم السياسي، أما الأقوام السبعة الذين حددهم المسعودي، فهم شعوب الحضارات القديمة، إذ جاء تحديده في نصٍ جاء فيه: **[وهذه الأمم هي الحضارات السبع الأصيلة الإغريق، الرومان، بلاد وادي النيل، بلاد وادي الرافدين، بلاد فارس، بلاد السند والهند والصين]** وقد امتزجت مع كل منها، أمم أدنى منها سطوة، فانخرطت معها في أغلب الحقب التاريخية للشعب الام[38].

ولو عقدنا موازنة بين تقسيمي المسعودي و توينبي[39] للأقوام، ستتجلى لنا نقطة اتفاقهما في تقسيم الشعوب الى نوعين: أمم كُبرى، وأمم صغرى موالية لها؛ غير أنَّ المسعودي اعتمد في تصنيفه على أصل الأمم العرقي، واقتصر في ذلك على الاقوام الغابرين قبل بزوغ شمس الإسلام، ولم يفته تثبيت ما استأثرت به الأمة الإسلامية من مزيَّة اتخذها كأصل، يقيس عليه مؤهلات الأمم الأخرى؛ وهو ما حدا به إلى نعتها بالأمة في خضم حديثه عنها في مؤلفه " أُمة الإسلام" ليتوصل بعدها إلى الإقرار بأن المعتقد هو أساس اتفاق كل قوم من تلك الأمم على حاكم أوحد[40].

بينما اعتمد توينبي في تقسيم الأمم على أساس الديانات الكبرى[41]، وفي ذلك المضمار كان المسعودي سبّاقاً إلى اعتماد الأصل الديني أساساً للتصنيف قبل توينبي بعشرة قرون.

3-فاعلية البيئة في العمران والطبائع:

أعمل المسعودي نظره في المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، ويرى أنها المسبب الرئيس في تباين الأرض إلى نوعين: أما أهلٌ عامر، أو ناءٍ مقفر، فالتباين الشديد في توزيع الحرارة والبرودة في الجزء الشمالي والجنوبي من اليابسة جعل الحياة –لأجل ديمومتها وامتدادها– في سجال متطرف مسرف؛ يمكنه اعاقتها واجتياحها، واينما يقل احتدام مواجهة الطبيعة، مع توفر السخونة والبرودة بدرجات معتدلة، ستكون الحياة و يقام البنيان[42].

ولابن خلدون مقالة في هذا الشأن، نصّها[43]: " **سكان الأقاليم المعتدلة في طقسها من البشر هم أعدل الناس أجساماً و ألواناً وأخلاقاً وأدياناً وتمكناً في العلوم والصنائع والزراعة وتربية الحيوان... حتى النبوات نفسها نجدها مقصورة على هذه الأقاليم، فلم نقف على خبر بعثة في الأقاليم غير المعتدلة ... لإفراط الحر في الجنوب و البرد في الشمال**".

وللفيلسوف هيجل أيضاً رأي واضح في ذلك، إذ جاء عنه أنَّ" **المناطق المتطرفة لا يستطيع الإنسان أن يكون حراً في حركته، فالبرود والحر في تلك المناطق من القوة بحيث لا يسمحان للروح أن تقيم عالماً، لذاتها، ففي المنطقة المتجمدة والحارة لا يوجد الموقع المحلي المناسب لظهور شعوب التاريخ العالمي**"[44]، يتضح مما سبق تطابق الرؤى بين ابن خلدون وهيجل، واتفاقهما مع ما ذهب اليه المسعودي عن فاعلية المحيط البيئي في سلوك الافراد، والبنيان؛ إلا أنَّ المسعودي له فضل السبق و الابتداع في تأشير تلك الحقيقة وتحليلها.

4–قوانين الدولة والملك :

أسهب المسعودي وبَسَطَ الكلام ووقف على التفصيلات في تشريعات الدولة و ركائزها، مبرهنًا عن طاقته الفلسفية اللامعة، بخاصة في تفريقه بين الآفات الخارجية والداخلية التي تعرقل منظومة البلاد، وبيان منطقه في مداواة كل شكل منها، وجوهر العلاج، وأصول تطبيقه، ونص ذلك قوله: " **و آداب الرياسة ... "، " و وجوه أقسام السياسة الديانية، و عدد أجزائها ...**" وقال في موضع اخر: " **و لأي علّة لا بد للملك من دين كما لا بد للدين من ملك، ولا قوام لأحدهما إلاّ بصاحبه، ولم وجب ذلك، و ما سببه ....**" " **والآفات التي تحدث في نفس الملك والدين، والآفات الخارجة المعترضة لذلك ...**" [45].

وللمسعودي القدم الأولى في هذا الميدان، سابقاً الماوردي في طرح نظره حول العقيدة والولاة وطبيعة علاقة الأمراء وعامة الناس، واسلوب حكم الوالي وتدبيره وسوى ذلك[46]، كذلك تطرَّق ابن مسكويه إلى نهضة الدول و وزوالها وعرضَها عرضًا متشعبا في مؤلفه المسمى تجارب الأمم[47].

يعد استقصاءه المعنون" **أمارات إقبال الدول**" أبرز موضوعات كتابه، الذي جاء عقب فراغه من الحديث عن لوازم تمكن الدولة واستواءها، وعلل انفراط عقدها واندثارها، ويفصل القول فيه عن مؤشرات انتعاش البلدان وازدهارها وتطورها، محيطًا احاطةً تامةً بالمرحلة الثالثة من اطوار حياة البلاد (الحضارة)، ويؤشر

كلامه عن الأقبال استيعابه الابداعي لباكورة نشأة الدولة وبزوغها، وما تطرّق اليه المسعودي من التفصيلات عن أولية قيام الدول، ابتكار لم يسبقه أحد إليه؛ ولكن مسألة وقوع كل تلك الموضوعات ومناقشاتها في آثاره المفقودة، تقف عائقًا امام إصدار حكم قطعي بمبتغاه واهدافه، وفيما لو اختزل الأمر على مؤشرات النشأة والنماء و الازدهار، أو شمل كلامه مسألة تشكُّل الحضارة كذلك؟[48].

والمباحث نفسها، نجدها بتفصيل مسهب عند ابن خلدون في مقدمته، إذ عرض مؤهلات نماء البلدان وتمدد نفوذها وبسط سيطرتها، واطالة عصر ازدهارها، اعتماداً على من تولّوا عليها، وكثرتهم او قلّتهم ومبررات تخلفها وانهيارها[49].

5-القياس على النظير و المقارنة بين الحضارات :

للمسعودي خصلة ومسار فلسفي يُشار إليه بالبنان، يضاف إلى ما ذُكر آنفًا، إذ أظهر حذقه وعقليته النادرة المتمكنة في المضمار التاريخي، وللاستدلال على ذلك نورد النص الذي سجله، عندما خلُص من شرح ركاكة سياسة خلفاء بني العباس وتسببها بتفريق ارجاء الدولة، واستيلاء جماعات متصدعة على أكنافها، فأصبح" **الملوك مقهورين خائفين قنعوا باسم الخلافة ورضوا بالسلامة**"، بعدها يتحوَّل من هذه الصورة، إلى استحضار النظير الموازي للعباسيين، من تاريخ الأقوام البارحة، ومنحنى الحضارات، فيصرح بقوله" **و ما اشبه أمور الناس بالوقت إلا بما كانت عليه ملوك الطوائف ... كلُ قد غلب على صقعه، يحامي عنه، مع قلّة العمارة، و انقطاع السبل، و خراب كثير من البلاد، و ذهاب الأطراف** ..."[50] .

6-التنبؤ بالمستقبل:

كان لابد من التوقف عند مسألة قراءة الطالع في مرويات المسعودي، أذ نجد في هذه المسألة نصّاً يسترعي التمعن فيه ضمَّنه في احد كتبه، بسبب المسوغ التاريخي الذي ورد فيه، ففي سياق كلامه عن بلدة الحيرة، نلحظ عنده فطنة بيّنة لحالة للتبدلات في أوضاع الأقطار و الأقاليم، منها استحواذ الدمار على بلدة الحيرة في حين من الدهر، ليتحوَّل مباشرةً إلى الابلاغ عمّا سيكون لها، في زمنها القادم، قائلًا: " **وعند كثير من أهل الدراية التامة بما يحدث في المستقبل من الزمان أن سعدها سيعود بالعمران، و أن هذا النحس عنها سيزول، وكذلك الكوفة**" [51] .

فمن المقصود بقوله أهل الدراية؟ أ حكماء الفرس ممن تنبؤوا بوقوع الفناء الشامل بعد عشرة قرون واعتباراً من زمنهم[52]، أم قصد أهل الكهنوت، اذ أشار إلى علمهم بالمغيبات، وأقرَّ بموافقة بعضها للحقيقة الملموسة، وتلك المسائل شائعة عند جميع الشعوب[53].

ولا يخفى أن أعمال الكهان والعرّافين، لاعلاقة لها بالنظر التاريخي؛ لكن اسلوبه في عرض تلك الأنباء، وطريقته في طرحها التي تتجلى عن اخباري يتصف بوعيه التاريخي المرموق ونظره الفلسفي الرصين، يُظهران تشوقه إلى التكهن التاريخي، واجتهاده لإعطاء التاريخ مدىً مستقبلياً أيضاً.

الخاتمة:

كان محور بحثنا شخصية أبو الحسن المسعودي المؤرخ الإخباري المسلم، من نسل الصحابي عبد الله بن مسعود، المولود في بغداد أبان الخلافة العباسية، ترعرع وفق الأعراف العربية الإسلامية البحتة، وعندما رام الارتفاع بمعرفته في مجال التاريخ، ويضاعف من ثقافته واخباره، سافر متنقلاً بين بلدان عديدة، آخرها مصر، التي اختار السكنى في فسطاطها إلى وفاته.

سجل البحث تفرد المسعودي بمزاوجته بين علمي التاريخ والجغرافيا، بمنهج لافت، تميز ببراعته العلمية، وحذقه في ميدان الجغرافية؛ لإستناده إلى الاستفهام والمعاينة والمشاهدة .

وقد عرض لجمهرة غفيرة من المسائل الفلسفية، وعلى يديه اتضحت ملامح الفكر التاريخي واتخذ شكله المخصوص، ليجتمع مع الفكر الفلسفي ويمتزج معه تدريجياً.

استطاع المسعودي من المؤالفة بين التاريخ والعمليات العقلية، والمساوقة بين التاريخ واصول الفلسفة، وتخطّى في اغلبها حاجز الرواية والانتفاع، إلى القرار الفلسفي، ومنه اختط طريقه إلى التفرد والابتكار والاتقان .

المراجع

1- أبن شاكر الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت 764هـ / 1363م) ، فوات الوفيات ، تحقيق : إحسان عباس ، ط1 ، دار صادر (بيروت ،1394هـ/1974م) ،ج3 ، ص 12-13 ؛ الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت 748هـ/ 1347م) ، سير أعلام النبلاء ، دار الحديث ، (القاهرة ، 1427هـ/ 2006 م) ، ج17 ، ص 524 .

2- عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ... الإمام الحَبرُ فقيه الأمة أبو عبد الرحمن الهُذلي المكي المهاجر البدري حليف بني زُهرة، كان من السابقين الأولين شهد بدراً و هاجر الهجرتين و كان يوم اليرموك على النَّفل ومناقبه غزيرة روى علماً كثيراً. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص 280.

3- الخربوطلي، علي حسني، نوابغ الفكر العربي، ط 38، دار المعارف (القاهرة ، 1388هـ/ 1968م)، ص20 .

4- الخربوطلي ، علي حسني ، المسعودي ،ط1 ، دار المعارف،(مصر: 1388هـ/ 1968م)، ص23 .

5- السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771هـ/ 1302م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وآخرون، (د. ط) ، دار إحياء الكتب العربية ، (د.ت) ، ج3 ، ص 456 .

6- السويكت ، سليمان بن عبد الله، منهج المسعودي في كتابة التاريخ ، ط1 ، (د. مط)، (د . م) ،1407هـ/ 2001م، ص 46 ؛ الأقصم ، إبراهيم يوسف، الدولة الأموية في كتابات المسعودي ، ط1، دار المجتمع ،1424هـ/ 2003م، ص 24 .

7- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/ 957 م) ، مروج الذهب و معادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الرجاء ، القاهرة ، (د. ت)، ج1 ، ص 33.

8- الخربوطلي ، نوابغ الفكر العربي ، ص 20 .

9- كراتشكوفسكي ، إغناطيوس يوليانو فتش ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم ، جامعة الدول العربية ،1395هـ/ 1975م ، ج1 ، ص 177 .

10- بخش ، صلاح الدين خودا، حضارة الإسلام ، ترجمة : علي حسني الخربوطلي، دار الثقافة، 1391م / 1971م ، ص 179 .

11- سير اعلام النبلاء ، ج15 ، ص569.

12- طبقات الشافعية ، ج3 ، ص 156.

13- نفطويه : هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة ، أبو عبد الله العتكي المعروف بنفطويه النحوي ... و كان صدوقاً، و سمي نفطويه لدمامته توفى سنة 323هـ/ 935م . بن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت681هـ/ 1282م)، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس، (د. ط)، دار صادر ، (بيروت: 1392هـ/ 1972م)، ج1، ص47.

14- أبو خليفة الجمحي: هو الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحي، يكنى أبا خليفة من أهل البصرة و كان أعمى تولى القضاء بالبصرة و هو من رواة الأخبار و الأدب و الأشعار و الأنساب توفى سنة 305هـ . القفطي، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت 646هـ/ 1248م) ، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1 ، دار الفكر العربي، (القاهرة : 1406هـ/ 1982م) ، ج3، ص5.

15- السويكت ، منهج المسعودي في كتابة التاريخ ، ص 46-65.

16- أبن زبر القاضي: هو عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمن بن زير بن عطار ، أبو محمد القاضي الدمشقي، قَدِم بغداد وحدَّث بها عن أحمد بن عبيد ، و محمد المنقري ، حدث عنه الدارقطني توفى سنة 329هـ بالفسطاط . الذهبي، ، سير أعلام النبلاء، ج15، 315.

17- المسعودي ، مروج الذهب ، ج1، ص103-283.

18- روزنثال ، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح أحمد العلي، ط2، مؤسسة الرسالة، (بيروت: 1403هـ/ 1983 م)، ص 151.

19- أدهم، علي ، بعض مؤرخي الإسلام، (د .ط) ، مكتبة النهضة ، (مصر :1424هـ/ 2003م) ، ص 51-52.

20- الأقصم، الدولة الأموية في كتابات المسعودي، ص32.

21- الخضير، عبد العليم عبد الرحمن، المسلمون وكتابة التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 1415هـ/ 1994م ، ص211.

22- الخربوطلي، المسعودي ، ص29.

23- مصطفى، شاكر، التاريخ العربي و المؤرخون، ط3، دار العلم للملاين،(بيروت: 1403هـ/ 1983م)، ج1، ص234.

24- الخربوطلي، المسعودي، ص30.

25- السويكت، منهج المسعودي في كتابة التاريخ، ص 246.

26- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني(ت 1067هـ/ 1657م)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إستابول: مكتبة إرسيكا، 1431هـ /2010م، ج2، ص360.

27- حاجي خليفة، سلم الوصول، ج2، ص360.

28- مروج الذهب ، ج2، ص436.

29- مروج الذهب، ج2، ص 436.

30- أبو موسى الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم (ت 324هـ/ 936م) ، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة، 1413هـ/ م ، ص 56 ؛ الكفوي،

أيوب بن موسى الحسني القريمي (ت 1094هـ/ 1683م)،الكليات معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش و آخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة ، (د.ت)، ص400.

31- علي بن محمد بن علي الزين الشريف(ت 816هـ/ 1413م م)، التعريفات ، تحقيق: جماعة من علماء المسلمين، ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت: 1403هـ/ 1983م)، ص 206.

32- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ/ 1111م) ، تهافت الفلاسفة ، تحقيق: سليمان دنيا، ط4، دار المعارف، مصر، (د. ت)، 305-306.

33- مروج الذهب ، ج2، ص 437.

34- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت 748هـ/ 1347م)، تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الاعلام، المكتبة التوفيقية ، (د.ت) ، ج7، ص829.

35- الألوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد (ت1342هـ/ 1924م) ، غاية الأماني في الرد على النبهاني، تحقيق: أبو عبد الله الدايني، ط1، مكتبة الرشد، (الرياض، 1422هـ/ 2001م)، ج2، 434.

36- مروج الذهب، ج1، ص 52-53.

37- المسعودي، ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/ 956 م)،التنبيه و الأشراف، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة ، (د.ت) ، ج4، ص 67-68.

38- التنبيه و الاشراف ، ج4، 73.

39- توينبي : أرنولد توينبي مؤرخ و فيلسوف تاريخ انكليزي . طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، ط3، دار الطليعة، (بيروت : 1427م/ 2006م)، ص 246.

40- المسعودي مروج الذهب، ج1، ص 175.

41- آرنولد.ج. ، بحث في التاريخ، ترجمة: طه باقر، ط1، دار الوراق ، (بيروت : 1435هـ/ 2014م) ، مجلد 1 ، ص 131.

42- مروج الذهب، ج2، ص 403 ؛ التنبيه و الإشراف : 23.

43- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت 808هـ/ 1405م)، مقدمة أبن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ط7، دار النهضة،(مصر: 1435هـ / 2014م) ، ج1، ص 329.

44- هيجل، جورج فلهلم فريدريش، العقل في التاريخ، ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام، ط2، دار التنوير،(بيروت: 1428هـ/2007م)، ص 158.

45- المسعودي، التنبيه و الأشراف ، ص2.

46- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري (ت 450هـ/ 1058م)، تسهيل النظر و تعجيل الظفر في أخلاق الملك، تحقيق: محي هلال السرحان وآخرون، بيروت : دار النهضة ، (د.ت) ، ص 222.

47- أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (421هـ/1030 م)، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1424هـ/2003م)، ج1،ص29.

48- المسعودي، مروج الذهب، ج2،ص 280.

49- أبن خلدون، المقدمة، ج1، ص 308.

50- المسعودي، التنبيه و الأشراف، 346-347.

51- مروج الذهب، ج2، ص 324-325.

52- التنبيه و الأشراف، ص 85-86.

53- مروج الذهب، ج2، ص369-370، 375-383.

المصادر :

-أدهم، علي :

2- بعض مؤرخي الإسلام، (د .ط) ، مكتبة النهضة ، مصر :1424هـ/ 2003م

-الأقصم ، إبراهيم يوسف :

2-الدولة الأموية في كتابات المسعودي ، ط1، دار المجتمع ،1424هـ/ 2003م.

-الألوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد (ت1342هـ/ 1924م) :

3-غاية الأماني في الرد على النبهاني، تحقيق: أبو عبد الله الدايني، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1422هـ/ 2001م.

-بخش ، صلاح الدين خودا :

4- حضارة الإسلام ، ترجمة :علي حسني الخربوطلي ، دار الثقافة ، 1391م / 1971م.

-توينبي ، آرنولد.ج. :

5-بحث في التاريخ، ترجمة: طه باقر، ط1، دار الوراق ، بيروت : 2014م ، مجلد 1

-جرجاني ،علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت 816هـ/ 1413م) :

6- التعريفات ، تحقيق: جماعة من علماء المسلمين، ط1،: دار الكتب العلمية ، بيروت1403هـ/ 1983م .

-حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني(ت 1067هـ/ 1657م) :

7-سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستابول: 1431هـ/ 2010م.

-الخربوطلي ، علي حسني :

8-المسعودي ،ط1 ، دار المعارف، مصر: 1388هـ/ 1968م.

9- نوابغ الفكر العربي ، ط 38 ، دار المعارف ،القاهرة ، 1388هـ/ 1968م .

-الخضير، عبد العليم عبد الرحمن :

10- المسلمون وكتابة التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 1415هـ/1994 م

- أبن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت681هـ/ 1282م):

11- وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس، (د. ط)، دار صادر، بيروت: 1392هـ/ 1972م.

-أبن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت 808هـ/ 1405م):

12-مقدمة أبن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ط7، دار النهضة، مصر: 1436هـ /2014م .

-الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت 748هـ/ 1347م) :

13-تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الاعلام، المكتبة التوفيقية ، (د.ت) .

14-سير أعلام النبلاء ، دار الحديث ، (القاهرة ، 1427هـ/ 2006 م) .

-روزنثال ، فرانز :

15- علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة: صالح أحمد العلي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1403هـ/ 1983 م.

-السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771هـ/ 1302م):

16-طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وآخرون، (د. ط) ، دار إحياء الكتب العربية ، (د.ت)

-السويكت ، سليمان بن عبد الله:

17- منهج المسعودي في كتابة التاريخ ، ط1 ، (د. مط)، (د . م) ،1407هـ/ 1987م.

-أبن شاكر الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت 764هـ / 1363م) :

18- فوات الوفيات ، تحقيق : إحسان عباس ، ط1 ، دار صادر (بيروت ، 1394هـ / 1974م)

-طرابيشي، جورج:
19- معجم الفلاسفة، ط3، دار الطليعة: بيروت، 1427هـ /2006م.
-الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ/1111 م) :
20-تهافت الفلاسفة ، تحقيق: سليمان دنيا، ط4، دار المعارف، مصر، (د. ت).
-القفطي، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت 646هـ/1248م) :
21-إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1 ، دار الفكر العربي، القاهرة : 1406هـ/ 1982م.
-كراتشكوفسكي ، إغناطيوس يوليانو فتش :
22- تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم ، جامعة الدول العربية ،1395/ 1975م.
-الكفوي، أيوب بن موسى الحسني القريمي (ت 1094هـ/1683 م):
23-الكليات معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش و آخرون، مؤسسة الرسالة ، بيروت: (د.ت) .
-ماوردي ،أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري (ت 450هـ/ 1058م) :
24-تسهيل النظر و تعجيل الظفر في أخلاق الملك، تحقيق: محي هلال السرحان وآخرون، دار النهضة ، بيروت : (د.ت) .
-مصطفى، شاكر:
25- التاريخ العربي و المؤرخون، ط3، دار العلم للملاين ، بيروت: 1403هـ /1983م .
-المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/ 956 م) :
26- التنبيه و الأشراف، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة ، (د.ت)
27- مروج الذهب و معادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الرجاء ، القاهرة ، (د. ت)،
-مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (421هـ/ 1030م) :
28- تجارب الأمم و تعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1424هـ/2003م.
-أبو موسى الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم (ت 324هـ/ 936م) :
29- رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة، 1413هـ/1992 م.
- هيجل ، جورج فلهلم فريدريش :
30- العقل في التاريخ، ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام، ط2، دار التنوير ، بيروت:1427هـ /2007م .